سهـــرة مع الغيـــوم

خربشات طفولة قلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1441 هـ - 2019 م
ردمك /(ISBN) : 978-9947-79-573-6
التوزيع الدولي للكتاب: لبنان، العراق، مصر ، الأردن، السودان.

اسم العمل: سهرة مع الغيوم خربشات طفولة قلم.
اسم المؤلف: سارة فداد.
تصميم الغلاف: أكرم قواسمية.
المدير العام / سميرة منصوري.
اخراج: سيف الدين.ل.

الناشر/ دار المثقف للنشر الجزائر
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https: //www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

بلومانيا للنشر والتوزيع
المثقف للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

سهـــرة مع الغيـــوم

خربشات طفولة قلم

بِقَلم:
سـارة فـدّاد

باشـرت الكتابـة فـي عمـر السـابعة.. وكنـت فـي الثالثـة عشـرة حيـن كتبـت قصيـدة الرّثـاء الأولـى لجـدي رحمـة اللـه عليـه.. وهـذا الكتـاب، هاتـه الخربشـات مـن أجلـه! لأنـه الرّجـل الـذي اسـتمع دومـا لسـذاجة قلمـي، وأنـا طفلـة!

حقيقـة، كلّ مـا جمـع فـي هـذا الكتـاب، هوخواطـر وقصائـد قديمـة، مـن بعثـرة طفولتـي.. هـي مـا عجـزت أن أصرخـه للكـون، ومـا أردتُ أن أبدعـه مـن انكسـاراتي الطفوليـة! اختـرتُ عشـرات هنـا بيـن المئـات فـي مكتبتـي.. العشـرات التـي مـا رغبـت أن تظـل يتيمـة قـارئ! لتكـن مـا تكـن بالنسـبة للجميـع.. خربشـات، محـاولات.. قمامـة.. بالنسـبة لـي هاتـه جـزء مـن عظمتـي الروحيـة.. جـزء ممـا كنـت عليـه، ومـا جعلنـي اليـوم «أنـا».. مـا وجـدت مـن العـدل أن أسـتمرّ فـي الكتابـة، قصيـدة وروايـة، بينمـا أدفـن صبـا قلمـي عـن الجميـع!

الأدب علـم لـه عمـلات كثيـرة، فكـر، علـوم، فلسـفة، تاريـخ.. أنـا أحـب «الفـن».

أنـا لا أقـرأ لأتثقّـف، أنـا أقـرأ لأفـرّ مـن الواقـع.. وأتلـذّذ بريشـة فنـان آخـر.. وأتغـذّى مـن روحـه المدسوسـة بيـن أسـطره!

وأنـا لا أكتـب لأفيـد المجتمـع (فقـط)، أنـا أكتـب فـي القصيـدة لأسـتيقظ مـن شـعور أولأدفـن فيـه إلـى الأبـد.. وأكتـب فـي الروايـة لأحيـا، وأحيـي الحكايـا..

سارة فدّاد.

سهرة مع الغيوم

فِي ظلمـةِ اللَّيلـة القَاسيَـة... وبـرودَة النَّسـمَة اللَّاهِيَـة...
بَكت الغُيُوم طِوالَ دَهرِها... تَشكِي حِكايتَها الماضِيَة...
كانَت وكما تكُون العَبرَى... تَبكي مُنادِية واعِيَـة...
تَشكوالنّاس عن حالِها... وترثِي في شِعرِها الثّاوِيَـا...
لقد بلّلَت بدموعِها التُّراب... فسَقَت الوُرودَ آمالِيَا...
أشبَعَتها حُبًّا ووُدًّا... لتَنموعلى تلك النّاحيَـة...
تأثّرت بها فأعنتُها... ومالي أُعين حزينةً باكيَـة...
ما دموعي بقدر دموعها... لكنّ حزني فاق العواليَا...
أرثي حبيبي أفصح أبيُتٍ... فمنذ مات تبدّل حاليَا...
جاورتُ الغيوم ليلتها... نترقّبُ ضِحكةً ساريَـة...
نبكي ونبكي على حبيب... في ليلةٍ باردةٍ داجيَـة...

حِكـايـــــة...

اِنطلقت حكايَة... من نهاية حكايَة...
وانفتح كتاب في آخر فصول... روايَة...
ضاعت أناملٌ بين عزفٍ وسكونْ...
وتاهت أرواحنا في ظلام...
نوعٌ من الشّجن... نوعٌ من طِيب الجنُون...
هو... هوشوق وحنين...
وغيوم محبَّة ماطِرَة،
وأشعّة شمسٍ صيفيّة،
وابتسامةٌ، ارتُسِمت على مرايَا...
وتوقَّفت حكايَة... وسادها الصَّمت... وبعض العَبَرات...
وكلامٌ بسيطٌ على ورقَة، ملاحظةٌ على دفتَر،
لحظاتٌ لا تُنسَى:
بكاءٌ وضحِك... شجارٌ ثُمَّ ابتِسامَة،
وأصنافٌ لا تُحصَى من النّظرَات...
صفحتنا اليوم... روحٌ مبعثرةٌ في زوايَا...
ضياعٌ محتَّم خطّه القَدر...
ونبتسم أيضًا، ونبتسم حتّى لوفرّقتْنا الجبال،

حتّى لـوأبـت الأشـجـارُ أن تُـزهِـر...

حتّى لـوطلـع فـجـرٌ، واكـتَسَـت خيـوطُ الشّـمـسِ بحبّـات المطـر...

نـبـتسـم حتّى لـوابـتَسَم القـمـر...

نـبـتسـم حتّى تُجـمَـع أشـلاءُنـا تحـت شـجَـرة،

في ثـانـويّـةٍ خَـرِبـة،

نـبـتسـم حتّى نـكـتُـب معًـا، سطـورًا من حـكايـة..

حتّى تـدوم المـحبّـة، وتَلـتَـقي قِـطعُ روحِـنـا.. بـابـتِـسـامَـة

وتـخـطـوأصـابِـع القـدر حيـنـهـا، فصـولاً ربـيـعـيّـة مُـزهِـرة

قـويّـةً دافـئـةً، كشِـتـاء..

غـريـبـةً كـخـريـف..

فصـولًا أخـرى... لأَحـلَى رِوايَـة

ضـائعـــة...

بـيـن ضـفّـتـيْ نـهـرٍ ضـائـعَـة...
أسيـرُ عكس التيار، بـاحِـثـةً عن رابية..
لأُريحَ يـداي الـمُـتـعـرِّقـتَـان، تعِبـتـان، مـجـنُـونَـتـان...
كـأغصـانِ شـجـرةٍ تـائِـهَـة، كأوراقِ شَـجَـرِ السِّـنـدِيـان...
وأنـا بـيْـن ضِـفَّـتـيْ نـهـرٍ ضـائِـعَـة...
كـقـطـارٍ اسـتَـوحَـشَ الحـريّـة... كـقـطـارٍ مقـيّـدٍ بحـدِيـد...
كـقـطـارٍ أهـلـكـه التـقـدُّم، ويـخـشـى في التـوقّـفِ أن لا يـجِـدَ الأمـان...
وأسـتـمـرُّ في الـمسِـيـر نـحـوالـوراء، وتـارة أتـقـدَّم...
وكـأنَّ شَـهـوَتـي بـيـن سطـورِ الـمـاضـي... مـبـعـثَـرة...
وأحـلام الـمسـتَـقـبَـل مـخـطـوطـةٌ في قـديـمِ الـزّمـان...
اخـتـفَـت نـجـومُ السَّـمـاء وهَـجـرَتـنـي، وضِـعـتُ من دون أضـوائـهـا
تـحـت أنـوارِ شـمـسِ..
أعـجـزُ أن أرى... أعـجـزُ أن أُحـسّ..
وأنـا في الضّـيـاعِ... أكـرَهُ الأنـوار.

بـسـمـــــة

وبـسـمـةٌ رسـمَـتـهـا شـفَـتَـاكَ... في لحـظـةِ صـمـتٍ يـومَ لِـقَـــاءْ...
هـادِئـةً، هـامِسـةً مُقـلَـتـاكَ... غـارِقَـتـانِ في يـمّـي.. تـوَدّانِ البَقـاء...
ورأفةٌ أرسلَـتـهـا عيـنـاكَ... بـنظـرةِ ودٍّ بـالـغَـة الـنَّـقـاء...
صـامتـةً تحـكي بـحاجِـبـيـكَ... عن حُـبٍّ صـافٍ يعـلوالسَّـمـاء...
فيـالَ نظـرةٍ كـتِـلكَ عفـيـفَـة... ويـالَ بـسـمـةٍ كـتِـلك لديـكَ...
يـأسِـر روحـي ثـغـرُكَ حيـنَـمَـا... يصـمُـتُ حـاكِـيًا قِـصصًـا عنـكَ...
عـجِـبـتُ لأمـرِكَ حينَ تـبـكُـمُ... وتـصـرُخُ لتـبـُوحَ بـسـرِّك...
شـفتاك...

أحبّك، ولكن..

يسـألُـني الطّير إذا ما حلّق عنكَ...
ويسـألُـني الـزّهـرُ أن يـنـبُـتَ أينـمـا حَلّت خُطاكَ...
والنّجـومُ تودُّ أن تُـؤنِـس ليلتَكَ...
وحتّى أوراقُ الخريـف تتلـهّـفُ شوقًا للُـقْـيـاكَ...
عزفُ الوابِلِ في دُجايَ ينحني أمامكَ...
وكلّ شيءٍ في حُـجـرتي، يَحـيـكُ رِضاكَ...
أحبّكَ... ولكـن لحبّي حدودٌ...
وأخشى من حِرصي أن أنساكَ...

أحبّك... ولكنّ كِـبـريـائي يـمـنـعُني من أن أُطيلَ هواكَ..
فقد حان يا أميـري الغروبُ، ولـم أَعُد أتحمَّـل الانـتِـظار..
احـترقْـتُ بالعيونِ التي تُحـدِّقُ بي،
والألسنِ التي تحكِـيـني،
والقلوبِ التي تُشفِـق عليّ،
احترقتُ وأحرَقتُ البِحارَ معي...
وأغرقتُ العُشّـاق في قِـصّـتي...
حبستُ نـفـسي في هذا المكـان... ومنعتُ شفـتـيَّ عن الابـتِـسام...

فـمـاذا كنتُ أُريد؟؟

حان وقتُ الغروب، سأرحَلُ من هنا،

ولن تُشرِق شـمـسي بعد الآن...

ولن يـبـزُغَ فـجـري على هذه الأرض... وسيحـلُّ الظَّلام...

فأنـا أحـبَـبـتُـك... وكان لحـبّي حـدودٌ..

ولن أستـطـيـعَ يومًا أن أنـسـاكْ..

أحبّك... ولكنّ لحبّي حدودٌ،

وعِـفّـتي تـمـنـعُني أن أفضَح هواكْ...

كلّمـا مـررت أمــامـي...

كلّـما مررتَ أمامي،
تحـجُـبُ عـنّي أشِعَّـة الشّـمس... فـأتـدفّـأُ بظِلِّـكَ
أغـطّي بـه جسـدي وأنـامُ بـلا استيـقـاظٍ..
صـدركَ وسـادَتي الدّافِئـة...
وصـوتُـكَ هورنّـةُ تـلك المـوسيـقى العـذبـة التي تُداعِـبُ
مسـامِـعي،
في كـلّ ليـلةٍ أقضِـيـهـا عنـدَ مـرورِكْ...
فـأودُّ أن لا أُفيـق... ولـولبِضـع لحظـات...

***

كلّـما مـررتَ أمـامي...
أعـدُّ خطواتِـك بصمـت، وأُتـابِـع مسـارهـا
أُراقِـب طرِيـقـهـا... وأخشى عليكَ من أتـفـهِ شيءٍ قد يُعـيـقُـهـا..
قد أقـلِّد طريـقـةَ مشيك سُـخريـةً، ولكـنّي في الحقـيـقـةِ أهيـمُ بـهـا،
وأودُّ لوأُرافِـقـهـا مسيـرَتَـهـا... إلى أبعـدِ نقطـةٍ في الأرض،
حتّى لوكان ملاذُها الموت... حتّى لوأغرَقَـتـني في أقصى نيرانِ
الحياة...

***

كـلّما مررتَ أمامي...

أتذكّر ما مضى لنا من أيّام...

تقولُ أنّك اكتفيتَ من حبّي! ولـكـنّي لا أصـدّقك،

وما من أحدٍ سيُـقـنِـعُـني أنّـك تلاعَبتَ بـمـشـاعِـري...

حتّى الـذِكـريـات...

***

كلّما مررتَ أمامي...

أراكَ سعيدًا... تُحِبّ حياتكَ من دوني..

ولـكـم أودُّ أن أصدّق ادّعاءاتك هاته،

وأقتنع أنك بخير..

لعلِّي حينها سأغادرك لذكرياتنا.. بضع سنوات..

***

كـلّما مررتَ أمامي...

تـتـعـقّـدُ مشـاعِـري أكـثـرَ فـأكـثَـر... فأُحـاوِل أن أنسـاك ولا أُريـد...

كلّما مررتَ أمامي...

ألـذّ بالفِـرار مِنك... حتّى لا أستعيـدَ كـلّ ما فـات...

إخلاص..

أخلصتُ لكَ...

لدرجةِ الخشيـةِ مـمّا أفكّـر... لدرجةِ الحِرصِ فيـما أقول

لم يكـن للذّنـبِ مجلـسٌ عنـدنـا... ولـم نبـنِ كغيـرِنا للحُـبِّ القصـور

كنّـا كـمـا تكونُ ضفّـتـا نـهرٍ... عشقُنا العفيفُ كشغفِ الصّبا...

يرسمُ على ثرانا ألفَ رسمٍ... ويُنبِتُ أينـمـا نـخطوالصّفاء..

ما بيننا سيْلُ حبٍّ غزيرٍ... وجهنّمُ عفّةٍ تأبى الانطِفاء..

ما بيننا نجمُ عشقٍ بعيدٍ... يُضيءُ بشعلتِهِ ظلمةَ السّمـاء..

لم يكن للغدرِ فصلٌ عندنَا... وكانت حياتنا جنّةٌ غنّاء..

***

أخلصتُ لكَ بكلّ ما فدتكَ عيوني...

أخلصت لك روحي وكياني...

أخلصت لك نجمةً في الصّحاري...

وبل خنساءً مغرمةً في زماني...

أخلصت لك عبلةً وليلى...

وعانيتُ من الفُراقِ وها أعاني...

فهل أنتَ يا حبيبي عنترةٌ؟

قائد الجندِ والفرسانِ...

أم أنت قيسٌ في ذا الدّهرِ مجنوني؟

أبيتَ وقد خُيّرتَ الموتَ أن تنساني...

قد دخلتَ إلى قبيلتي على جوادِك...

وحبّكَ أمام الملإ قد استباني...

أتخيّلك تحبّني

عندما أغمض عينيّ...
أتخيّلك... جالسًا بقربي... ممسكا يدي...
أشعر بأصابعك الرقيقة تلامس أناملي
وأحسّ بنسمات أنفاسِكَ اللّطيفة تهبّ على وجهي...

عندما أغمض عينيّ...
أتخيّلك، تبتسم، تضحك... ثمّ تحرّك شفتاك
وتهمس لي، على مسامعي... أنّك تحبّني..
أتخيّلك تغادر القاعة التي جمَعَنا القدر فيها،
وما من تصفيقاتٍ للجمهور... وما من جمهور..
الكلّ اختفى... حتى الأثاث..
ثم اختفى السّقف... الجدران... والمدينة...
ووجدت نفسي في الضّياع... والظّلام...
حتّى نورَكَ بدأ يتلاشى بابتعادك عنّي
ونجمتُكَ التّي تُرافِق نجمتي... اِنطفأت
بقيتُ وحدي في الدّجى... من دون أمل..
والآن عندما أغمض عينيّ...

أتـخيّـلك... تـنـظـرُ عـيـنـاك البنـيّـتـان إلى عـيـنـيّ بـبـراءة

أشعـرُ بـدفـءِ صـدركَ وأنـت تـعانـقـني

وأسـمـع دقّات قـلبـك بوضـوح

أحـسّ بـيـدك تُـمـسِك بـيـدي...

وأراك تـجـرّني إلى عـالـم... لا أدري كـيـف هـو...

عـنـدمـا أغـمـض عـيـنـيّ...

أتـخيّـلك تـحـبّـنـي...

كلمـات الوداع...

تنتحر كلمات الوداع على ضفّة جسدي...
وتعجز أن تلقي بنفسها إلى فوّهة الدّفء التّي بيننا...
ونحن في ربيع حياتنا... نتبادل النّظرات...

***

يفيض الحِبر يوم أراسلك...
ويجفّ حين يُبعث ليكتبَ آخر كلمةٍ لنا... وآخر سطرٍ يجمعُنا...
فتتمزّق ورقتي... وتُسيل شذاها على طاولتي...
ويفيض ما بقي من نفسي... عَبَرات...

***

يدقّ القلب بسرعةٍ حين أقابلك...
تتوهّج في داخلي قناديل محبّة عامرة...
وتبتسم روحي لروحِكَ الخامِدة... في سكون عشقها الأوّل...
ضائعة في... مَتاهات...

***

عندما أفكّر فيك... أغمض عينيّ وأتخيّلك...
بابتسامتك الهادئة...

تـصـبِـر على جـنـوني... وطـيـشي...

تلامس بـأنـامل روحِك وجـنـتـيّ...

وتـقـولُ:

«كـفـاكِ يا طـفـلة...

كـفـاكِ ضـحِـكات...»

سحَـــرَتـــني...

سحرتني بسمةٌ ضاحِكة...

خَطّتها النّجوم في وضح النّهار..

وأتقنت نحتها أناملٌ رعوشةٌ... ونثرت على رخامها رمالَ الصّحراء...

فحفرَت على أطرافها خطوطًا صغيرةً... كسبيلِ سيلٍ للعبَرات، وللضِّياء...

سحرتني بسمة ضاحكة... ارتسمت على وجه فارسٍ مغوار...

فأخرج سيفَهُ من غِمدِهِ... وأعلن وسط حشدِ البشرِ... مراسِم العداء...

فتوهّجت عيناه بحمرة نيران... وكأنّما غروبٌ احترقَ بالنّقاء...

سحرتني بسمة ضاحكة... لم تعد لي،

فأوجعت قلبي، وخدشت جراحي،

وألبستني بسُمّها أحلى رداء...

فاكتوى جسدي، واحترقت أناملي... وفاضت عيناي حزنا وشقاء...

وما عدتُ أهوى في أنيني غيرها،

وما عدت ألقى من سحرها غير العناء...

سحرتني بسمة ضاحكة...لم تكن لي

فانطوى جناحاي... وحطّت روحي على أرضهم
ودنوت منها، أتلمّس طلّتها
وإذا بوجع مكان قلبي... ودماء...
وعلى حافّة سيفه... كتلةٌ صغيرةٌ حمراء...
فارتسمت خليلة بسمته على وجهي..
وأمطرت على قصورنا... وقلاعنا... وقريتنا... نسمات الصّفاء...
ثمّ غادر الفارس... ومضى... وراح...
جارّا وراءه ضحكته السّمراء...
ورافعا بيده اليمنى... أعلام العداء...
وتاركا أناملي المحترقة ترعى قلبي،
وتُنشِد له أن لا يخاف...

سحرتني بسمة ضاحكة... كانت بريئة،
وألقت على روحي أكوام الشّقاء...
وبعض الضّياء!

هل تمارس سِـحـرك علَيّ؟

هل تمارس سحرك عليّ؟
هل يا ترى تستغبيني بصداقة متينة كي تعلّقني بكْ؟
وتأسرني بين ثنايا ضحكتكْ؟
وفوّهة الدّفء التّي تغمرني فيها بسمتكْ؟
هل يا ترى تجمع نجوم اللّيل لإغرائي؟
وتنطق أحرفا لا أعرف لفظها؟...
تلفني بقوّة في سكينة حجرتي...
وترمي بي على فراشي... أحضن وسادتي!
كلامك المجنون يستهويني...
ويعارك بصمته تمرّد قلمي... وتعصّب كلماتي...

هل تمارس سحرك عليّ؟؟؟
هل يا ترى تقلّب خاطري بمشاعر مسترسلة وراء ستار؟
تهبّ عليّ كعواصف الرّبيع المعطّرة...
فأتبعثر هنا وهناك
وأضيع على صفحة كتاب بيضاء...
مبلّلة بالحبر... وملطّخة بالنّقاء...

هل يا ترى تمارس سحرك عليّ؟؟؟

حتى ملأت حياتي قيودًا وسلاسل...

وجعلت لي في سجني كتبا وقصائد...

وثويت بلفظة منك شغفي وجنوني...

وحبست حريّتي... واستبيت بعض مشاعري...

وشغلتني عن نفسي ليلةً،

وملأت بضوضاء حضورك سكوني...

فما عدت أضعك على هامش ورقة،

بل بين جموع ورق على مكتبي... ودفاتر...

كلمة بسيطة - عفوك سيّدي -

هل تمارس سحرك عليّ؟

أتمـنّى يـومًـا...

أتمنّى يومًا أن ألتقي بسمة...
تشبه في عذوبتها، ضحكة النّسمة...
مغرورقة عيناها، تفيض براءة...
وفي أطرافها تغفو في ظلّ نجمة...

أتمنّى عندها أن لا أفيق...
وأغرق في يـمّ نور... وإشعاع... وبريق...
أن أهلك على ضفّة عشقٍ،
وأحيا على بسمة في بيت عتيق...

أتمنّى أن تتسلّل الضّحكات إلى صدري...
وأن تهبني البسمات من لذّة السّهرِ...
فأعود أسامر القمر، وأحاكي النجوم...
وأعود أفرح... بحزن الغيوم...
وتعود حيرة السّؤال تتملّكني:
«من يا ترى يفهم؟... من يا ترى يدري؟...»

زاوية

أغفو على ظلّ شجرة خريف عارية..
أتعبها الصّيف بصخبه وفوضاه،
فصمدت تترقب فصل شتاء ماطرٍ،
تماما كما كنتُ أنا.. أختبئ في زاوية...

وجاءنا موسمُ الغيث يتمشى بفخر...
باردًا ليُخمِد نيران غضبٍ وقلقٍ تلفُّنا،
خلت الشّوارعُ والحقول، وارتفع صوت الرابية،
وساد صمتٌ في المكان، وسُكون نسماتٍ لاهية..
أفقتُ أنا من غفوتي وغادرتُ جحري مسرعة،
وكان أن رأيتك غارقًا في شجنك..
تماما كما كنت أنا، واقفًا في زاوية..

وأتيتك محتارةً، ألقي تحية عابرة..
وفيك شيء شدّني.. ولا أدري ما هو..

تشابكت أغصاننا، وأزهرت براعمها،

في عز شتاءٍ باردٍ، وعلى أرضٍ بالية..
حلّ ربيعنا في موسم ساكنٍ،
وتبعثر عبيرنا مع أمواج رياحٍ عاتية..
وصرتَ تماما كما صرتُ أنا.. أبتسم في زاوية..

نغفو على ظل شجرة خريف عارية..
أتعبنا الصّيف بصخبه وفوضاه...
وارتحنا قليلا نترقب فصل شتاءٍ ماطرٍ،
جارا وراءه ربيع حبّنا.. يختبئ بين نوباته،
في زاوية!

طفل بريء

ألا يتعب الصّمت من مرافقتك؟
فقد افتقده الجميع ها هنا..
وقد ملّت الوحدة من مؤانستك،
فدعها تعود إلى صحبها..
احتاج الأنام وحشتها، إلا أنت، وأنا..
وتضحك إن قرأت هذا...
كطفل بريء.

ابتسامة اشتاقت إليك،
اتركها تنام على شفاهك لترتاح،
إنها تحتضر في منفى بعيد، هلا تنقذها؟
تبدو وسيما وهي عليك.. فهل هذا متاح؟
وتبتسم إن قرأت هذا...
كطفل بريء.

ترتسم على زجاج نافذتي المتعرقة..
المتوجعة من كوابيس ليل أهلكها..

تسحرني بجدّيتك، صمتك وسكونك.. من دون ابتسامة..

وتأسرني نظرتك الغاضبة،

مغرور حقّا كما يقولون..

فأبكي كلّما التقيتك صدفة، وأنت لا تدري، ولا أحد يدري..

وأمسح بابتسامة شغف دمعة..

وتتعجب إن قرأت هذا، كطفل بريء..

وستغضب إن قرأت هذا، كطفل بريء..

ولن تسامحني عن تمردي أبدا،

كما كان ليفعل طفل بريء!

القدر

عاندتُ القدرَ لكي ألقاكَ، فعاندني..
وأهلكني حنينا إلى لقياكْ..

أعرفتَ قبلا فتاة تبكي اشتياقًا؟
هاني هنا.. أتعذّب في ذكراكْ...

مالِ اللقاء صار بعيدًا هكذا؟
أنشدُه وإياك فلا يحدث...
أود بشدّة أن أحبكَ، ولكن...
الصّحيح في القصة أن أنساكْ!

طفلة

صرتَ في الواحد والعشرين..
زاد طولكَ، وما عُدت أمردًا..
وأنا لم أتغيّر... لا زلت طفلة!

***

ملابسك هادئة، تحبّ الألوان الدّاكنة..
تحبّ كلّ ما يخفيك..
ناضج أنت، تخشى الخطايا..
تسير على درب الحياة مستقيما.. ضاحكا..
أما أنا؟ فلا زلت طفلة!
ألوان تشعّ من جسدي..
أستقبل الصّباح بابتسامات حياة مبتهجة،
أسير بعفوية وطيش..
أقفز وأجري.. كطفلة !

***

صرت في الواحد والعشرين،
تخطّيت الأمر بسهولة..
أفرغت حمولتك من طفولة بريئة،

وابتسمت لما مضى.. ابتسامة وداع..

كبرت أنت كثيرا، وحلّقت بعيدا..

وأنا لازلت يرقة،

لازال عبيرك يجول في حجرتي،

لازالت كلماتك، كقصتنا، على أوراق بين الدفاتر..

على مكتبي..

ومازالت خزانتي ملأى بك،

وأحلام تعبة مكدّسة تحت وسادتي، تحرمني النوم..

وحقائبي ملأى بخرائط لنا..

مواعيد لنا.. وهدايا لنا..

أترى؟ لازلت هنا، ولم ترحل..

صرت في الواحد والعشرين، نضجت، وخطّطت حياتك..

أما أنا... فلازلت.. طفلة!

أتيت بعد الغياب

أتيت بعد الغياب..
لتنهش ما تبقّى مني،
لتلتهم ما تركته لي..
بقايا اضطهاد.

***

رجعت بعد زمن طويل،
لتسترجع أياما مضت،
رجعت لتأسرني في قصّة انتهت..
لتلقيني في نيران جائعة انخمدت..
وعدت اليوم، لتلهبها مجدّدا،
رجعت لتسكنني، كومة عذاب..

***

هل قلت لك قبلا أنّي أكرهك؟
نعم.. وبشدة..
وبقدر ما أحببتك سابقا، وبقدر ما أحبك اليوم..
أنا أكرهك..
وتسأل لم لا تسألني أنا؟

أنا.. ليس لي جواب.

اسأل السّنين عن الحنين..

اسأل ضحكاتي كم اشتاقت قهقهاتك..

اسأل دموعي كم احتاجت مواساتك..

اسأل أفراحي، التي تقطعها بذكرياتك..

آلامي، وأحزاني، كم تضاعفت بغيابك..

قلت لا تسألني أنا...

اسأل أمسيات الصّيف الصّاخبة.. وتنهّداتها المتوجعة..

لمجرّد ذكر اسمك..

اسأل ليالي الشّتاء، ظلمة الشّتاء،

سكون الشّتاء..

هل تسأله؟ ستميتك أجوبته..

سيحكيك ما لم تقله السّنين..

أن تضع رأسك على وسادتك لتنام، فيشغلك الحنين..

أن تلمّ جسدك في قطعة قماش لتدفأ.. فيحويك الصّقيع..

أن تلهي نفسك بكتاب لتغفو.. فيتملكك الأنين..

وبعد هذا، تجيء لتبعثرني؟

لا فوضى في غير النظام..

ها قد قلت أني أكرهك، وانتهى..

أتيت بعد الغياب..

لتنهش ما تبقى مني..

لتلتهم ما تركته لي..

بقايا اضطهاد!

تتوقع..

تتوقّع أن أنحني..
أن أجلس على الأرض، أفتح حقائبي،
أخرج أغراضي المكدّسة، وأعلق ملابسي مجددا.. في خزانتك..
تتوقع أن أنفض الغبار عن مشاعري العتيقة،
أن أحبك..

ولكن مضى - يا سيدي - زمن الانتظار الطويل
مضى زمن الولاء المستتر تحت قناع الحرية..
مرّت سنين.. واليوم أفقت من غفوتي،
وما عدت أطيق وعود الأبدية!

لن أغفر.. لن أرجع بعد خيبات الأمل،
لن أرجع إليك بعد القطيعة.
رحلتَ بعيدا منذ زمن،
عشت حياتك على أتمّها، وتتوقع اليوم أن ألقاك باسمة،
أن أعانقك مشتاقة، لأقول لك أني انتظرتك بلهفة..
وأني أغفر لك خطاياك الشنيعة.

لا، مضى يا سيدي ما كان بيننا، وراح
تتوقع مني أن أستسلم لك بحنين..
أن أغفر لك.. أن أصدقك..
وأن ألين..
ولكنّي لا أنحني..
وكن واثقا.. لا ركن في حياتي يسع أن يلم خيباتك الفجيعة!

فلنلتق غدا...

فلنلتق غدا..

قبيل شروق الشّمس..

في محطة الحافلة..

هل نفعل؟

أظنني ذكرت المكان والزمان..

فهلا أجبت؟ هل نفعل؟؟

***

فلنلتق قبيل صياح الديك..

على أبواب صبيحة باردة.. ماطرة..

فلنلتق تحت أضواء مدينة مستيقظة..

بين ضجيج السيارات.. أوحال الطرقات..

كلام الناس اللّامنتهي..

بالمختصر، فلنلتق في لب فوضى أحوالنا..

لندرك في قمة الضياع، أنفسنا..

لنجد في ازدحام المشاعر، حبنا..

***

فلنلتق.. فلنلتق غدا..

فلنلتق لنسير معا... تحت المطر..

ليغتسل جسدانا من غبار السنين،

وينفضا عن بعضيهما، بقايا الزمن..

لتتطهر أرواحنا مما يجتاحها..

من عتاب، من عناد، من أنين..

وتنزعا عن نفسيهما.. حداد الشّجن..

***

فلنلتق غدًا..

قبيل شروق الشمس، نتسكع تحت المطر..

فلنلتق... لتمسك بيدي.. ونسير معًا..

فلنلتق لأحبك من جديد..

ولتحبني كما لم تفعل يومًا..

فلنلتق، لأتخيل وأنت بعيد عني.. أنك معي..

لأدرك حقيقة الأمر أخيرًا..

لأودعك بنظرة حب متحسرة..

أنا أغادر أرضك طوعًا..

***

ميعاد معلّق - يا سيدي - بيننا...

هل نلتقي غدا؟؟

محطة الانتظار

عدتُ عن غير قصد... إلى محطة الانتظار..
جلستُ أحتسي كوب شوكولا ساخنة...
صبيحة شتاء ماطرة، وباردة...
وطال غيابكَ مجدّدا!

فتحتُ كتابي، وبدأت أقرأ...
أردت أن أكسر الملل... وأقلّص وقت الانتظار..
ولكنّه... طال!

تحترفُ في قمّة الحضور... الغياب...
هل تعلم أني أنتظر؟
هل تعلم أني بعد سنين مضت،
عدت إلى هنا... لأنتظر؟؟
ولم تأتِ... وأعلم أنك لن تأتِي...
أنت لم تحبّني يوما، فلم قد تعود إلى هنا..؟
حيث كانت انطلاقتنا؟؟
وقد برد كوب الشّوكولا،

وتبلّل الكتاب... وأنا...

واغتسلتْ روحي من أملٍ بمطر!

وجاءت صديقتي تبحث عني وقد انسدل ستار اللّيل،

أحضنها وأبكي، كما اعتدت دوما..

تسأل أن أرافقها... فهل أفعل؟؟؟

عدتُ من غير قصد إلى محطة الانتظار...

عدتُ أحاول الثبات على انحدار..

أعلم حقّ الإدراك أنك لن تأتِي،

وأن لا رأفة تجبر هذا الانكسار..

ولكنّي لازلتُ إذا ما رغبتَ أن تمرّ،

أحتسي الكتب، في محطة الانتظار!

تحبّ كوني أحبّك

تحبّ كوني أحبك!

تعلم هذا جيّدا...

ترتسم على وجهكَ ابتسامة غرور، ممزوجة بثقة،

تعلم أنكَ تُضعِفني!

لقاؤنا ذاك بعثرني..

وسادت فوضى في حياتي:

ازدحام مشاعر... وصخب الخيبات!

ما أراد القدر بذاك اللّقاء؟

حتى استعجله مزيّنا،

متحضّر الضحكات!

صامتا، بكلام..

ما أراد القدر بذاك اللّقاء؟

يذكرني بجرح عاطفة ظننتُ أنه التأم...

يشغلني عن أحلامي بوهم أخذ مني الكثير،

وها يأخذ مجدّدا...

قل لي... ما أراد القدر بذاك اللقاء؟

***

وتتقدّم تارة تسأل عن حالي،

وتبتسم لتوتّرني..

تدرك أنك توجعني،

فلم لا تكفّ عن الحضور...

أو أقول،

انس الغياب...

يقتلني الغياب!

***

تحبُّ كوني أحبك...

تعلم هذا جيدا،

طويلا ما اعتقدتُ أني نسيتك...

ومضيت في حياتي،

وها اليوم التقيتك صدفة

وها اليوم أنت تحتقرني لمشاعر نقيّة،

وأنا كالغبية...

أتبعثر في خراب!

هل من مغيث؟

أضيع بين حبك ونسيانك..

وما من مغيث!

***

تتوهج القناديل في أزقة الذكرى

لتحرق ما تبقى من جمال وجودك..

ولتبعثر على صفاء صورتك في المرآة، أوراق خريف متساقطة..

وكأن موسم الهوى، ملّ الحضور!

***

يسير العشق في الطرقات تائها..

يتمايل سكرانا..

وقد قضى اللّيلة في حانة الخيبات،

على سرير الانتظار الطّويل..

مع كتاب أحلام متعثّرة!

أسعفته بكوب قهوة..

وصلاة، وتلاوة آيات..

وكالسّاذج، يدعو لك في سجوده.. ويستخير الله فيك..

وهو مدرك، حق الإدراك... أن لا خير فيك!

ما هاته؟ رسالة شكوى..

ولكن حقيقة يا سيدي،

مذ غادرتَ، وهو على هاته الحال..

ضائع بين حبك ونسيانك..

يصرخ هل من مغيث!!

***

لعلّ شمس اليأس تشرق فجرا..

أنحني لها شكرا..

أنقذ ما تبقى لي من بسمات..

ألمّ ما تركت لي من عَبرات..

لأحيا ثانية.. بعيدا عن أملي فيك..

في بلاد لا تصبح على ذكرى ضحكاتك..

ولا تمسي على وجع اشتياقك.. وقسوة كلماتك..

بلاد بعيدة، حيث لا تزورني في منامي،

ولا أبتهج عند سماع اسمك..

ولا أنفعل حين أراك..

أودّ أن أحيا ثانية،

حيث أنا أنا... وأنت أنت..

لا أضيع بين حبك ونسيانك..

ولا أستنجد: هل من مغيث؟

أنت أسود وأنا بيضاء

أنت أسود... وأنا بيضاء...

وحلّ يوم ما عادت الأفلام بالأسود والأبيض تنجح.

ما عاد لها صيت.. ولا وجود..

نقية أنا كثلج... وباردة..

فلا يزيدني ظلامك سوى وحشة..

مضى زمن التلفاز الرمادي..

والأقفال، وأفلام الحرب القديمة..

مضى زمن الحب سيدي..

وزمن الفساتين الطويلة، والقبّعات الضّخمة..

والجياد... والعربات..

مضى زمن الرّقي!

اليوم، هناك أداة تحكم، وألوان..

***

أنت بالأسود وأنا بالأبيض..

ويردّون: أتتحدّثين عن زفاف؟

لا... الحب لم يعقد قرانه علي..

الحب جاء ليسرق ألواني... ويغادر...

تاركا جثتي للبياض..

الحب اسودّ في قصتي... وسافر..

ما أقوله هو: أنك بالأسود وأنا بالأبيض..

وأن زمن الأفلام القديمة مضى..

وما عاد الحب ببساطة تلك الحياة،

ولا بنقاوة ثوبي، وانتهى..

***

أنت أسود.. وأنا بيضاء..

لن نلتقي، ولو على لوحة فنّان..

لوّث نفسك بألوان، كما فعلتَ دوما..

ولكنّك مهما حاولت، لن تقدر على بياضي..

ريشتك لا تلوّث بياضي...

هل تفهم؟

أنا لا ألوّنك... وأنت لا تلطّخني..

أنت أسود... وأنا بيضاء!

الوداع

الوداع..

لن أحبّك بعد اليوم

أتممتُ كتابي، وكتبتُ ملايين الأشعار تحت اسمك

انتهيت منك.. أخيرا..

الوداع..

لن نجتمع بعد اليوم..

وإن التقينا، سأنظر إليك بعطف أو غضب..

حسب مزاجي..

لسنا سوى غرباء،

وصدفتك لا تقدر على إزعاجي...

أبدا..

الوداع..

فقد كتبتُ في قصّتنا رواية..

وأكملتُ الفصل الأخير..

ستقرأها ابنتك الصغرى في ليلة شتوية قاسية..

ستبكي عاوية، كم تشبهها الحكاية!

تمنّيت لو كنتَ بطل قصّتي،
ولكنّك رحلت في الصّفحات الأولى،
رحلت بعدما عبرت الإهداء ووقفت عند اسمك..
متخفيا تحت الرّداء..
إذا آسفة...
الوداع...
انتهيت منك.. أخيرا!

To my Teddy bear

أرغب أن أهجر هذا الكون، وأختبئ في صدرك..
أن تلمّني كطفل صغير، وتضمّني لحضنك..

أن تطفئ الأنوار، ونكتفي بشعلة نار..
أن تسكن الأصوات.. وتهطل الأمطار..
أن نجلس في زاوية معتمة... أنا وأنت..
أن تحويني بداخلك..
تضمّني بين ذراعيك..
وأنا كالطفلة.. أشكيك همي...
يا لعبة تحمل اسمك..

أرغب أن أهجر هذا الكون، وأختبئ في صدرك..
أن تلمني كطفل صغير.. وتضمّني لحضنك..

أن تقاسمني وجعي، دون أن تمنعني البكاء..
أن تطمئنني بحضورك، وأن نطيل البقاء..
تمسح على رأسي، وتقبّل جبيني...

تحكي لي قصص جدّتي... لأشعر بالأمان..
هل ترى هذا الكمّ من النقاء؟

أرغب أن أختبئ بين طيّاتك..
أن أنام بعد البكاء الطويل على ترانيم المطر..
أحتمي بدفئك..
وأن لا أستيقظ أبدا..
أرغب أن أموت، كما لم أحي يوما... طفلتك..

أرغب أن أهجر هذا الكون، وأختبئ في صدرك..
أن تلمني كطفل صغير.. وتضمّني لحضنك..

الفهرس

سهرة مع الغيوم	7
حكاية	8
ضائعة	10
بسمة	11
أحبّك، ولكن..	12
كلّما مررت أمامي	14
إخلاص..	16
أتخيّلك تحبّني	18
كلمات الوداع	20
سحرتني	22
هل تمارس سحرك علي؟	24
أتمنى يوما	26
زاوية	27
طفل بريء	29
القدر	31
طفلة	32
أتيت بعد الغياب	34
تتوقع	37

فلنلتق غدا	39
محطة الانتظار	41
تحبّ كوني أحبّك	43
هل من مغيث؟	45
أنت أسود وأنا بيضاء	47
الوداع	49
to my teady bear	51